Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقالة الخامسة

لوحة الزمن

نجيء إلى اللوحة الثالثة والأخيرة التي وعدنا بالوقوف عندها لتكون مع زميلتيها السابقتين ، مدخلاً إلى عالم المتنبي . وهي قصيدة «ليالي بعد الظاعنين شكول ..» الخ .. ولست أدري لماذا أحس كلما أعدت قراءة هذه القصيدة بأنني أشتبك مباشرة مع فكرة الزمن بجوانبها المتعددة كما تحدث عنها الفلاسفة والمفكرون وعلماء الرياضة والطبيعة . ربما لأنها تصور وقع الزمن على نفس المتنبي منذ مطلعها . وفي المشهد الأخير منها عبر عن فكرة الزمن أدق تعبير . وربما لأنه يمزج فيها بين الأزمان الثلاثة ، الماضي والحاضر والمستقبل ، ويخلط بينها ، وفي لحظات قليلة منها يمزج بين الزمان والمكان . ولهذا سأطلق على هذه القصيدة « لوحة الزمن » . وقد لفتتني هذه اللوحة إلى أن أفرد «فكرة الزمن عند أبي الطيب» ببحث مستقل في هذه الدراسة التي تتناول عالم المتنبي من خلال « رؤية فنية » . ولا أظن هذا البحث يخرج عن الإطار الفني . فالمتنبي يستغل فكرة الزمن في بناء لوحاته استغلالاً فنياً مرهفاً نافذاً .

وفي هذه اللوحة التي كتبها في جمادى الآخرة من عام ٣٤٢ هجرية وأنشدها أمام سيف الدولة ، نحس وقع الزمن على نفس المتنبي ، إحساساً حاداً . يتجلى في إحساسه بتلك الليالي البطيئة المتشابهة . وكأنها ليلة واحدة . ونحس زحف الزمن ببطء على وجدانه . فقد بدأها بمشهد من تسعة أبيات ، يصور فيه فكرة الزمن التي وقع في قبضتها . وفي هذا المشهد يختلط عنده الزمان بالمكان . وتمتزج الأرض بالسماء . ويختلط الواقع بالحلم وتشتبه فكرة الحبيبة بالآمال البعيدة النائية . وتتصارع الرموز الفنية . وتتداعى الأفكار ونشعر بعد كل هذا أن أبا الطيب كثّف كل حياته وأحلامه في لحظة . ثم صور هذه اللحظة في هذا المشهد :